الباطنية وكتاب الجفر

الأستاذ الدكتور محمد حافظ الشريدة
عضو جمعية أهل الحديث في أمريكا
وأستاذ العقيدة والفرق في جامعة النجاح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى اله وصحبه أجمعين وبعد:

فيقول زميلي العلامة محمد الخطيب في كتابة: الحركات الباطنية، ما ملخصة: كانت الباطنية وما زالت مصدر خطر على الإسلام والمسلمين منذ أن وجدت، بعد أن أدرك اعتداء الإسلام إن مواجهتهم للمسلمين وجهاً لوجه لن يجدي شيئاً في تحقيق أهدافهم والوصول إلى مآربهم، ولذلك كانت الباطنية بعقائدها وفتنها نتيجة لاتجاه جديد في الكيد للإسلام والمسلمين، عن طريق التدثر باسمه والتستر بحب آل البيت، وهي فكرة خبيثة ماكرة حاكها ودبرها عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام وعمل من خلال ذلك على نفث سمومه، وبثّ مؤامراته بين المسلمين، فادعى الموالاة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن ذريته، وحرّض على قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم أعلن أن عليا هو وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته من بعده، حتى وصل في نهاية الأمر إلى الزعم بتجسد الإلوهية في علي بن أبي طالب.

ومن خلال هذه الأباطيل والمؤامرات استطاع ابن سبأ أنّ يمهّد لتلاميذه ولكل من يريد الكيد بالإسلام والمسلمين، طريقاً خبيثاً سار فيه دعاة الباطنية بعد ذلك.

أن مصادر الفكر الباطني ليست من الإسلام في شيء، وإنما هي أفكار دخيلة على عقائد السلام تستر أصحابها، هادفين من وراء ذلك هدم المجتمع الإسلامي بعقائد وأساطير حطمها الإسلام، فلم يجدو أمامهم إلا هذه الطرق، التي تدل على الحقد الدفين في قلوبهم ونفوسهم على هذا الدين وأهله، وتحت لواء هذه الفرق والحركات التي اتخذ دعاتها الإسلام ستاراً لإخفاء أغراضهم، روجت الدعاية السرية مبادئ باطنية هادمه للإسلام مفوضة لأركانه ؟!

وقد عمد دعات الباطنية إلى كتابه بعض الرسائل الملفقة على لسان أئمتهم لإظهار مشروعية السرّيّة والكتمان.
ويستدل هؤلاء على مبدئهم بأقوال موضوعة، وأفعال مزعومة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته – رضوان الله عليهم – فهم يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بثّ علي بن آبي طالب وبعض صحابته علوماً وأسراراً خفية أخفاها عن بقية صحابته لأنهم ليسوا أهلاً لذلك، " والغرض من ذلك على حدّ زعمهم إخفاء أسرار الله تعالى عن غير أهلها، لأنها ما زالت كذلك مخفية عن غير أهلها مودعة عند أهلها ".

أما أهل الأسرار الربانية، الذين خصهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلوم الباطنية حسب زعمهم فهم قلة، ومن هؤلاء سلمان الفارسي الذي يعتبر عند دعاة الباطنية صاحب السر العظيم.

ويؤول أصحاب هذا المبدأ قوله تعالى " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ". بأنه أمر من الله بوجوب أخفاء أسراره وتأديتها إلى أهلها لأن هذا السر لازال كذلك مستوراً مخفياً مودعاً عند أهله مضنوناً به علـــى غيرهم. وعليه فإن من اليسر علينا أن نتصور أي مدرسة للمخاتلة والغدر تنطوي عليهم تعاليم مبدأ الباطنية، فقد أوجدت في بيئة التشيع نظرية خلقية أفردتهم بصفة بارزة هي المكر والمراوغة والخداع.

أن موقف الإسلام من معتقداتهم هذا هو الرفض البات بان يكون الإسلام سراً من الأسرار كما يقـول الأمـــام أبن حزم رحمه الله: " لأنه دين ظاهر لا باطن فيه، وجهر لا سر تحته، وكل من ادعى أن النبـــي صـــلى الله عليه وسلم خص أمر من الناس بعلم كتمه عن جمهور صحابته فقد كذب على رسول الله، فأنه عليه الصـــلاة والسلام لم يكتم من الشريعة كلمه ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة أو عم أو أبن عم أو صـــاحب على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم، ولا كان عنده صلى الله عليه وسلم ســر ولا رمز ولا باطن غير ما دعى الناس كلهم إليه ولو كتمهم شيئاً لما بلغ كما أمر".

كما أن علياً رضي الله عنه كان ينكر أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خصه بشـــيء مـــن علـــوم وأسرار، ففي رواية الشعبي عن ابي جحيفة قال: سألنا علياً هل عندكم من رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم شيء بعد القرآن. فقال: لا والذي خلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهم يؤتيه الله عز وجل رجلاً في القرأن أو مـــا في الصحيفة، قلت: وما الصحيفة ؟ قال: العقل وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر.

أن التقية التي يؤمنون بها، تخالف بوضوح فهم المسلمين لها، فهي في نظر الباطنيين تدل على حجب الأسرار الربانية والحقائق الألهية عن جمهور عامة الناس، لأن هؤلاء أقل ادراكاً من معرفة هذة الخفايا والأسرار، لذا قالوا بالتقية حتى يستطيعوا أن يخفوا هذة الأسرار كما يزعمون عن أهلها.

والحقيقة أن غرضهم من ذالك أولاَ وأخراً هو تضليل عامة الناس عن حقيقة معتقدهم تسهيلاً لبثة بيـــنهم دون أستثارة أحد منهم، وبالتالي يكونون في مأمن من أهل الإسلام، يتظاهرون هم به.

ومن الجدير بالذكر أن الأمانة هي المحور الأساسي الذي تدور علية كل العقائد الإسماعيلية لأن ولاية الأمـــام هي الركن الساسي لحميع اركان الدين –حسب زعمهم–.

وليس عقيدة الولاية والإمامة، عقيدة خاصة بالإسماعيليين، بل هي عقيدة الشيعة على اختلاف فرقهم، قال بها الغلاة، كما قال بها غيرهم، والإسماعيليون ما هم الافرع من فروع الشيعة. "ومن هنا جاءت الآراء الشـــيعية عن الإمامة واحدة تقريباً، فهم يفسرون بعض الأيات القرأنية بان المقصود بها الأئمه من أهل البيت، فقولـــه تعالى "أنما انت منذر ولكل قوم هاد" يزعمون ان رسول الله صلى الله علية وسلم قال في شرح هذة إليه: أنـــا المنذر وعلي الهادي من بعدي.

كما ويعتقد الأسماعيليونان الدين وعلومة وقف على الأئمة من أهل البيت وأن هذة العلوم هي علوم البـــاطن، وأن استخلاص الباطن من الظاهر من أختصاص ألأئمة فقط، لأنهم وحدهم أصحاب علم الباطن كبرت كلمـــة تخرج من أفواههم !.

ولقد ذهب الأسماعيليون الى أن لكل شيء (ظاهرة محسوس) تأويلاً باطنياًلا يعرفة الالراسخون في العلم وهم الأئمة، وهؤلاء ألأئمة يودعون هذا العلم الباطن للكبارالدعاة بقدر معين ذالك ان التأويل بالباطن قد خـــص الله بة علياً، فكما ان الرسول صلى الله علية وسلم حص بالتنزيل، فكذالك علي ابن ابي طالب قد خص بالتأويل.
وتزعم الإسماعيلية أن هذا التأويل قد تسلسل في الأئمة من عقب علي رضي الله عنة وهم الـــذين اشـــار الله تعالى اليهم " والراسخون في العلم" وهم وحدهم الذين لهم حق تأويل القرآن، بمال عندهم من العلوم الباطنية، وزعموا أن النبي صلى الله علية وسلم قال: (أنا صاحب التنزيل، وعلي صاحب التأويل).

وتزعم الإسماعيلية كذالك: "أن أسرار الدين متوقفه على تعليم الأئمة من نسل فاطمة، وهم الكواكب والنجـــوم والمصابيح، ترسل نور المعرفة الى قلوب أتباعهم، كما ان العين المبصره بدون القمر والشمس والمصباح لا تحقق الفائدة المرجوة.

كذالك تزعم الأسماعيلية ان لديهم كتاباً توارثوه عن علي هوة (الجفر) الذي ينسب الى جعفر الصادق. وتعتقد الإسماعيلية ان علي ابن ابي طالب هوة الذي وضع أصولة ليستبقي علم التاويل بالباطن في سلالته، ويتنـــاول كما يزعمون العلوم الغيبية والباطنية التي اورثها علي لذريته. ويظهر ان هذا الزعم هوة الذي اوحى لجعفربن منصور اليمن بتأليف كتاب (الجفر الأسود) الذي يعتبر امتداداً للكتاب الأول.

وبما ان الأسماعيليين يزعمون بأن لكل ظاهر باطناً، لذا فقد أوجبوا الأعتقاد بالظاهر والباطن، وكفـــروا مـــن يعتقد بالظاهر دون الباطن.

ويبدو أن كل شيء عند الأسماعيليين يمكن انّ يخضع ل(قانون) التأويل، فهو يتناول معظـــم آيـــات القـــرآن الكريم والأحاديث والشرائع ووالفرائض الدينية.

أما التأويل للفرائض والتشريعات، فقد أولها لتتناسب مع مراميهم، " فأولوا الحـــلال بأنـــه الواجـــب إظهـــاره وإعلانه، والحرام الواجب ستره وكتمانه. وهكذا ينتهي بهم التأويل الى طرح كل أركان الدين وإباحة محرماته وهو الغاية القصوى التي تسعى اليها الباطنية.

فالغرض النهائي عند الأسماعيليين من التأويل، يقوم على ترجمة القرأن الى لغـــة عقيـــدتهم وكـــأن العقيـــدة السماعيلية هي في البدء مصاغى بمنئى عن القران والسنة النبوية.
وهم في استشهادهم بالقران والحديث والفرائض الأسلامية وتأويلهم بالعلم الباطني يحققون اربعة امور هي:
عدم رفض القران ككتاب ديني مقدس والتخلي عن احكامه وملزماته وفروضها من خلال تأويلهـــا، ودعـــم حركتهم وعقائدهم وتعزيزها بأسانيد قرأنية وفي نفيهم أو تجاوزهم المعاني الظاهرية للقرآن، يبـــرز الفـــراغ

الفكري الذي كانت تملأه تلك المعاني ومن هنا يفتح المجال لنزاعاتهم وتطلعاتهم كي تتحرك وتــؤثر بحريـــة بعيدة المدى.

انا العقائد الباطنية بمنهجها التأويلي، تمثل تجاوزاً خطيراً لكل العقائد والمفاهيم التي جاء الأسلام من أجلها، بل انها في سعيها لنسف الظاهر وكشف الباطن تحاول ان تنسف الأسلام كدين وان ترسي بــدلاً منـــه المفـــاهيم الالحادية الباطنية المشتملة على الاباحية المطلقة ! ورحم الله الغزالي عندما قال: " أن هذه الـــدعوة يفتتحهـــا منتسب الى ملة، ولا معتقد لنحلة معتضد بنبوة، فأن مساقها ينقاد الى الأنسلال من الدين كأنسلال الشعرة مـــن العجين. ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

وبعد: فجزى الله فقيه بيت المقدس زميلي الدكتور حسام الدين عفانه خيراً على المعلومات القيمة التي ذكرهـــا عن كتاب الجفر على صفحات جريدة القدس الغراء.

وجزى الله خيراً زميلي الأخر محدث القدس الدكتور موسى البسيط الذي أيد ما ذكرة الدكتور حسام. وهـــدى الله (محمد الرفاعي) و(محمد الشويكي) اللذان ردا على هذين العلمين العلامتين بدون علم او وجـــة حـــق او منطق ! وأقول لدعاة الباطنية والشيعة وفرق الظلال والتصوف المنحرف: أن زمن الخرافات قد ولـــى الـــى غير رجعة بأذن الله حيث أن في بيت المقدس من آلى على نفسة ان ينفي هذا الدين تحريف الغالين وانتحـــال المبطلين وتاويل الجاهلين كالدكتورين حسام وموسى من نجوم بلادنا فلسطين.